مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 3 / العـدد: 04 (2015)، ص 43 - 58

المطابقة النحوية بين المسند و المسند إليه و العدول عنها في القرآن الكريم

الدكتور: محمد بن صالح
قسم اللغة العربية و آدابها- جامعة المسيلة- الجزائر

يقصد بلفظ المطابقة في اللغة، التماثل والتساوي، جاء في لسان العرب: (وتطابق الشيئان تساويا، والمطابقة الموافقة ، والتطابق الاتفاق ، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد ...)[1]، ومما يعد على وزن هذا الفعل لفظا ومعنى قولهم[2]: (ساوى) و(صافق) و (طارق) و (وافق)، وعلى اللفظ الأخير جاء المثل المشهور[3]: (وافق شن طبقة)، وهو مثل يضرب للمتوافقين اللذين جمعتهما حال واحدة اتصف بها كل منهما.

أما مصدره فهو الطباق والمطابقة، فالسموات طباق في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ﴾ (الملك : الآية3).

جاء في الكشاف: (طباقاً) مطابقة بعضهما فوق بعض، من طابق النعل: إذا خَصَفَها طَبَقًا على طَبَقٍ[4].

وعلى هذا النحو تمضي المعجمات اللغوية في سرد معاني الفعل (طابق) ومشتقاته مقررة من خلال شواهدها أن المطابقة في معناها اللغوي تعني: الموافقة التي تجري في مدار شرط الترابط بين شيئين ، لأن الفعل (طابق) يفيد المشاركة.

المطابقة اصطلاحا :

يبدو أن هناك علاقة واضحة بين المعنى اللغوي والحد الاصطلاحي الذي نقل إليه ذلك اللفظ، فكلام النحاة في عدد من الأبواب النحوية، وإن لم يذكروا لفظ المطابقة فإنها مقصودة ضمنا، يقول سيبويه في باب المبتدأ والخبر:(واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبنيُّ عليه شيئا هو هو) [5]. والقول نفسه عند المبرد من حيث أن الخبر هو المبتدأ دون أن يحدد نوع المطابقة: (اعلم أن خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئا هو الابتداء في المعنى) [6].

ويبدو أن أبا هلال العسكري كان له قصب السبق في حد ظاهرة المطابقة، إذ ذهب إلى أنها حمل شيء على شيء آخر في بعض أحكامه لوجه من الشبه، أو حمل الشيء على الشيء وإجراء حكمه عليه لشبه بينهما[7].

ويبين هذا التعريف أن المطابقة متباينة في درجة ورودها في الأبواب النحوية، فقد يكون ورودها تاما، وهذا بين من قوله: (وإجراء حكمه عليه)، وقد يكون الحكم ناقصا، إذ عبر عنه بالقول (في بعض أحكامه).

ومن خلال تتبع هذا المصطلح في كتب النحو نستطيع أن نُعرِّف المطابقة بأنها : مجموعة من العناصر اللغوية التي تؤدي وظائف متماثلة أو متشابهة، أو تدل على معان نحوية، كالإعراب (من رفع ونصب وجر)، وكالعدد (من إفراد وتثنية وجمع)، وكالتعيين (من تعريف وتنكير)، وكالجنس (من تذكير وتأنيث)، وكالشخص (من متكلم ومخاطب وغائب).

أبواب المطابقة:

إن المطابقة لا يتحقق كمالها أو تمامها في جميع أحكامها ، فقد تكون مجتمعة في باب وتتفاوت في بقية الأبواب، ففي المبتدأ والخبر تتمثل في العدد و الجنس، وفي الفعل والفاعل تتمثل في العدد و الجنس أيضا، وفي التوابع تتمثل في الإعراب و التعريف والتنكير، وفي الضمائر تتمثل في العدد و الجنس و الشخص، وهذه هي أهم الجوانب التركيبية التي يظهر فيها هذا المصطلح في نحونا العربي.

أولا: المطابقة بين المبتدأ و الخبر:

1- المبتدأ الذي له خبر:

اشترط النحاة التطابق بين المبتدأ و الخبر في الجنس والعدد ، ولم يشترطوا التعريف والتنكير. والنظم القرآني حافظ على المطابقة بين المبتدأ وخبره في أغلب الآيات القرآنية، إلا في مواطن محددة جاء ظاهرها عدم التطابق، ومن الأمثلة الكثيرة على التطابق في الإفراد تذكيرا وتأنيثا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:2)، وقوله:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء: 125) ، وقوله:﴿

و ﴿أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: 68)، وقوله : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح: 29) ، إن الخبر في هذه الآيات الكريمة يطابق المبتدأ إفرادا وتذكيرا.

ومما ورد في القرآن الكريم ما ظاهره عدم المطابقة بين المبتدأ و الخبر على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾(العنكبوت:49)، فقد أخبر عن الضمير المذكر (هو) بجمع مؤنث (آيات)، واختلف في هذا الضمير، أيرجع إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم، أم إلى القرآن الكريم ؟ فذهب فريق ومنهم ابن عباس وقتادة إلى أن الضمير يرجع إلى المصطفى[8]، ويكون التقدير: بل محمد آيات بينات، أي ذو آيات بينات ، وبهذا تتم المطابقة بين المبتدأ والخبر.

وذهب فريق ومنهم الفراء إلى أن الضمير يرجع إلى القرآن الكريم ويكون التقدير (بل آيات القرآن آيات بينات)[9] وبهذا تتم المطابقة أيضا.

وقوله تعالى :﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (القيامة:14) ، فقد أنث الخبر المفرد (بصيرة) مع تذكير المبتدأ المفرد (الإنسان) ،ولقد ورد لفظ الإنسان كثيرا في القرآن الكريم، لا يوجد في أي موضع من تلك المواضع ما يشير إلى تأنيثه، فما سبب تأنيث الخبر؟ إن السبب في هذا التأنيث يرجع إلى الحمل على المعنى ، فالبصيرة بمعنى شاهد ، وهو شهود الجوارح ، وهذا تفسير ابن عباس ومجاهد[10].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (التوبة : 28)، فقد أخبر عن الجمع المذكر (المشركون ، بمفرد مذكر (نجس) ولم يقل (أنجاس) فما هو السبب؟

إن سبب إفراد الخبر راجع إلى كون (نجس) مصدرا ، والمصادر لا تثنى ولا تجمع ، بل هي مفردة على كل حال ، يقول القرطبي :يقال (رجل نجس) و (امرأة نجس) و(رجلان نجس) و (امرأتان نجس) و (رجال نجس) و(نساء نجس) ، لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر[11] فالعدول عن لفظ (أنجاس) إلى لفظ (نجس) جاء ليقرر معنى خاصا وهو أن المشركين هم النجاسة عينها)[12].

2- المبتدأ الذي له فاعل يسد مسد الخبر:

يطابق هذا النوع من المبتدأ مرفوعه في التذكير والتأنيث، يقول سيبويه: (فإن بدأت بنعتٍ بمؤنثٍ فهو يجري مجرى المذكر، إلا أنك تُدخل الهاءَ، وذلك في مثل قولك : أذاهبة جاريتاكَ؟ و أكريمة نساؤكم؟ فصارت الهاء في الأسماء بمنزلة التاء في الفعل إذا قلتَ : قالت نساؤكم وذهبت جاريتاكَ [13].

و لقد ورد مثل هذا التركيب في القرآن الكريم في آيات قليلة من ذلك قوله تعالى :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (مريم:46) ، فقد تطابق الوصف (راغب) مع مرفوعه (أنت) إفرادا وتذكيرا، والإعراب يكون بجعل الوصف (راغب) مبتدأ، والمرفوع (أنت) فاعلا يسد مسد الخبر[14].

وقوله :﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعلُ لهُ رَبِّي أَمَداً ﴾ (الجن:25)، فـ (قريب) مبتدأ ، و (ما) مرفوع به يسد مسد الخبر[15] ، وقد تطابق الوصف والمرفوع إفرادا وتذكيرا.

3- المبتدأ الذي خبره أفعل التفضيل:

ومما يدخل في موضوع المطابقة بين المبتدأ والخبر مجيء أفعل التفضيل خبرا في تركيب الكلام ، يعرف العلماء أفعل التفضيل بأنه:(الصفة الدالة على المشاركة وزيادة نحو: أفضل وأعلم وأكثر) [16].

ولأفعل التفضيل حالات ثلاث يأتي بها في تركيب الكلام،فيأتي مجردا من (الإضافة والألف واللام) ، ويأتي (مضافا) ، ويأتي (محلى بالألف واللام) [17].

أ- أفعل التفضيل المجرد من الإضافة و الألف و اللام:

إذا جاء أفعل التفضيل مجردا من الإضافة والألف واللام، لزم الإفراد والتذكير، أي مخالفة المبتدأ في العدد والجنس، يقول ابن عقيل : (ويلزم أفعل التفضيل المجرد الإفراد والتذكير)[18]، ومن الأمثلة على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ (المائدة: 107)، وقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا

﴾ (يوسف: 8) ، وقوله : ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (الكهف:46).

إن أفعل التفضيل جاء بصيغة واحدة هي الإفراد والتذكير على الرغم من مجيئه خبرا عن مفرد مؤنث(شهادتنا) ، وعن مثنى مذكر (يوسف وأخوه) ، وعن جمع مؤنث(الباقيات).

ب- أفعل التفضيل المضاف:

وإذا أضيف أفعل التفضيل إلى معرفة ، جاز فيه المطابقة وعدمها ، جاء في شرح المفصل : (فأما إذا أضيف ساغ الأمر[19].

ومما جاء في القرآن الكريم مطابقا قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران:54)، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ و َأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (يوسف:59).

وأغلب ما ورد من أفعل التفضيل الخبر المضاف إلى معرفة هو خبر عن مفرد مذكر.

و مما جاء في القرآن الكريم غير مطابق قوله تعالى:﴿... أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة:6)، و قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: 7).

ج- أفعل التفضيل المحلى بالألف و اللام :

وأما إذا جاء أفعل التفضيل محلى بالألف واللام،وجب فيه مطابقته لما قبله في العدد وفي الجنس[20]، ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه:68)، وقوله تعالى : ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:139) ، وقوله : ﴿ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود:22).

ثانيا : المطابقة بين الفعل والفاعل :

إن عملية الإسناد بين الفعل والفاعل يتبعها تطابق بين هذين الطرفين لكونهما متلازمين، ومدار المطابقة بينهما يكون في محورين هما: الجنس والعدد.

1 - المطابقة بين الفعل والفاعل في الجنس:

أ - إن الحديث حول المطابقة بين الفعل وفاعله المذكر لا إشكال فيه لأن الفعل يطابق فاعله في التذكير، سواء أكان الفاعل مفردا أم مثنى أم مجموعا جمع مذكر سالما، وما جاء في القرآن الكريم يؤيد هذا.

فمثال (الفاعل المفرد المذكر) قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (البقرة: 7)، وقوله: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ (النساء : 120).

ومثال (الفاعل المثنى المذكر) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ (آل عمران: 155)، وقوله: ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ﴾ (المائدة: 23) .

ومثال(الفاعل الجمع المذكر السالم) قوله تعالى :﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: 159) ، وقوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ (المائدة: 44).

ومثل هذه المطابقة بين الفعل والفاعل كثيرة جدا في القرآن الكريم.

ب - وأما الفاعل المؤنث وإلحاق علامة التأنيث بفعله فأمر فيه تفصيل[21]، فهناك إلحاق واجب، وآخر جائز.

فالواجب في موطنين:

1- أن يكون الفاعل ضميرا متصلا بعامله، سواء أكان ذلك المؤنث حقيقي التأنيث أم مجازي التأنيث[22] و أمثلته كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعال : ﴿ فَلَمَّا وَضعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ (آل عمران:36)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ (يوسف: 24) في الحقيقي، وأما في المجازي فنحو قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة: 211) ، وقوله : ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ (التوبة: 118).

2- أن يكون الفاعل اسما ظاهرا حقيقي التأنيث غير مفصول عن عامله . ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ (آل عمران: 35) ، وقوله :﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ (طه: 40).

وأما الإلحاق الجائز فيكون في المواطن التالية:

1- وجود الفاصل بين الفعل وفاعله الظاهر الحقيقي التأنيث، يقول المبرد: (ألا ترى أن النحويين لا يقولون : (قامَ هندٌ) و (ذهبَ جاريتُكَ) ، ويجيزون : (حضر القاضيَ اليومَ امرأةٌ يا فتى)، فيجيزون الحذف مع طول الكلام، لأنهم يرون ما زاد عوضا مما حذف) [23].

و مما ذكره النحاة من شواهد الشعر على تذكير الفعل مع فاعله المؤنث تأنيثا حقيقيا قول جرير:

لقد ولَدَ الأُخَيطلَ أمُّ سَوْءٍ على باب أستِها صُلَبُ و شامُ

فالفاعل حقيقي ولم يؤنث لأجله فعله ، وذلك بسبب الفصل بينهما بالمفعول به.

إن إثبات التاء هنا أحسن وأجود (وقيل واجب) [24].

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص: 25)، وقوله:﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً﴾ (الأحقاف: 15) ، حيث فصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به ، وأثبت التاء .

وأما الفاعل الظاهر المجازي التأنيث المفصول عن فعله فقد ورد فعله في القرآن الكريم مجردا من علامة التأنيث في مواطن، وفي غيرها ألحقت به[25].

فمن الآيات التي حذفت منها التاء قوله تعالى:﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ (البقرة: 275)، وقوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران: 105).

ومن الآيات التي ألحقت بها التاء قوله تعالى: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ (البقرة: 81)، وقوله : ﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ (النساء: 72) ، وقوله :﴿ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ (المائدة : 52) وغير ذلك ...

2- الفاعل مؤنث مجازي:

إذا كان الفاعل مؤنثا مجازيا، أجاز النحاة ترك علامة التأنيث مع فعله[26]إلا أننا نجد أن النظم القرآني يحافظ على المطابقة بين الفعل وفاعله فيأتي بالعلامة أكثر من تركها[27]، فمن الأمثلة على إلحاقها مع الاتصال قوله تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ (البقرة: 16)، و قوله ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (آل عمران: 118)، و مثال

إلحاق العلامة مع الانفصال قوله :﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ (البقرة:80)، وقوله:﴿ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ (آل عمران: 183) .

وأما مثال ترك العلامة، فنحو قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (البقرة: 275)، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (المائدة: 100).

3- الجموع :

أجاز النحاة تذكير الفعل وتأنيثه عند إسناده إلى الجموع ماعدا جمع المذكر السالم ، فالتذكير فيه على التأويل بالجمع ، والتأنيث فيه على التأويل بالجماعة[28].

أ- جمع المؤنث السالم :

يرى الرضي أن هذا الجمع حقيقيه ومجازيه كالمؤنث المجازي، فيجوز فيه إثبات العلامة ويجوز تركها[29]، إلا أن النظم القرآني حافظ في مواطن كثيرة على العلامة أكثر من تركها ، فمثال إلحاق العلامة قوله تعالى:﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(البقرة:209)، وقوله : ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ (لأعراف: 22).

ومثال حذف العلامة وهي قليلة، قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران:86)، وقوله: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ (النحل: 34) ، وقوله : ﴿ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ (هود: 10) ، وقوله : ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ (الممتحنة: 10) .

ب- جمع التكسير:

يجوز فيه الوجهان أيضا، يقول ابن يعيش : (فما كان من الجمع مكسرا، فأنت مخير في تذكير فعله وتأنيثه نحو : (قام الرجالُ) و(قامت الرجالُ) من غير ترجيح...) [30] ، والنظم القرآني جاء بعلامة التأنيث في مواطن كثيرة جدا مقارنة بتركها سواء أكان الفاعل متصلا بفعله أم منفصلا عنه.

فمن الأمثلة على تأنيث الفعل قوله تعالى: ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة: 118)، وقوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ﴾(آل عمران:45)،وقوله:﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (البقرة:25).

ومن الأمثلة على تذكير الفعل - وهي قليلة - قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ (البقرة: 142)، وقوله: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ (الأعراف: 113)، و قوله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (آل عمران: 183).

ج- اسم الجمع :

يقول الرضي:(و أما اسم الجمع بعضه واجب التأنيث كالإبل والغنم والخيل، فحاله كحال جمع التكسير في الظاهر والضمير، وبعضه يجوز تذكيره وتأنيثه كالركب)[31].

فمن الأمثلة على تأنيث الفعل قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى ﴾ (البقرة: 120) ، وقوله : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: 69).

ومن الأمثلة على التذكير قوله تعالى: ﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ (البقرة: 100)، وقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (البقرة: 109).

2- المطابقة بين الفعل والفاعل في العدد :

شغلت هذه الظاهرة النحويين كثيرا وأخذت حظها من البحث في كتبهم فهم يعدون المطابقة بين الفعل والفاعل تثنية وجمعا ليس كلام عامة العرب بل هو كلام طائفة منهم وهم طيء ،وقيل هم أزد شنوءة ، وقيل بنو الحارث بن كعب[32].

فنقول : (قال زيد)، و (قام الزيدان أو الهندان)، و (قام الزيدون)، و (قام الهندات) ، ولا نقول : (قاما الزيدان)، و(قامتا الهندان) ،و (قاموا الزيدون)، و (قمن الهندات) إلا على هذه اللغة التي سماها النحاة: (لغة أكلوني البراغيث) ، وسماها ابن مالك : (لغة يتعاقبون فيكم ملائكة) [33].

ولقد تباينت آراء النحاة بين الأخذ بها وبين ردها ، أما سيبويه فينعتها بالقليلة[34]، وأما الفراء فقد أجازها[35]، ووافقه على ذلك الزمخشري[36] و ابن يعيش الذي قال: (وهي لغة فاشية لبعض العرب، كثيرة في كلامهم وأشعارهم) [37].

و مما جاء في الشعر العربي القديم على هذه اللغة قول الشاعر[38]:

يلومونني في اشتِرائي النخيلَ أهلي فكلُّهُمُ ألومُ

إن الفعل (يلُومُونَنِي) في هذا البيت طابق فاعله في العدد، فقد ألحقت به واو الجماعة لأن فاعله (أَهْلِي) جمع.

و وردت هذه اللغة في الحديث النبوي الشريف ، فقد جاء في صحيحي البخاري و مسلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار و يجتمعون في صلاة الفجر و صلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم و هو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم و هم يصلون و أتيناهم و هم يصلون) [39]، و بهذا الحديث سمى ابن مالك هذه اللغة بقوله: (لغة يتعاقبون فيكم ملائكة) [40].

و أما مجيء هذه اللغة في القرآن الكريم فقد اختلف النحاة بشأنها، كما اختلفت تأويلاتهم، فمنهم من أجاز و منهم من منع ذلك، ومما جاء على هذه اللغة :

1- قوله تعالى:﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأنبياء:3)، و لم يقل: (و أَسَرَّ النجوى).

أجاز الفراء و الأخفش و العكبري و الألوسي أن يكون (الذين) فاعل (أسروا)، و (الواو) في الفعل (أسروا) علامة الجمع على لغة أكلوني البراغيث، فقال الفراء: (و إن شئت كانت رفعا كما يجوز: ذهبوا قومك) [41]، و قال الأخفش: (أو جاء هذا على لغة الذين يقولون: ضَرَبُوني قَوْمُكَ) [42]، و قال العكبري : (و الثاني أن يكون فاعلا و الواو حرف للجمع)[43]، و قال الألوسي: (و الواو حرف دال على الجمعية كواو قائمون و تاء قامت، و هذا على لغة أكلوني البراغيث و هي لغة لأزد شنوءة) [44].

و أما سيبويه فلقد تأول الآية الكريمة على البدلية فـ (واو الجماعة) في (أَسَرُّوا) فاعل و (الَّذِينَ) بدل من واو الجماعة[45].

2 - وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: 71)، ولم يقل: (ثُمَّ عَمِيَ وَصَمَّ).

أجاز الفراء و الأخفش و العكبري و الألوسي و الزجاج أن يكون (كَثِيرٌ) فاعل (عَمُوا) على لغة أكلوني البراغيث فقال الفراء : (و إن شئت جعلت عموا و صموا فعلا للكثير)[46]، و قال العكبري : (و قيل الواو علامة جمع لا اسم ، و كثير فاعل صموا)[47]، و قال

الألوسي: (و قيل : هو فاعل و الواو علامة الجمع لا ضمير ، و هذه لغة لبعض العرب يعبر عنها النحاة بأكلوني البراغيث) [48]، و قال الزجاج : (و جائز أن يكون جُمِعَ الفعلُ مُقَدَّمًا كما حكى أهل اللغة أكلوني البراغيث) [49].

3 - وقوله تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾ (الإسراء: 23) . قرأ حمزة و الكسائي و خلف : (إِمَّا يَبْلُغَانِّ) بألف مطولة بعد الغين و كسر النون على التثنية، على لغة أكلوني البراغيث فـ (أَحَدُهُمَا) فاعل و الألف في (يَبْلُغَانِّ) علامة التثنية[50].

فقال الفراء: (فإنه ثنى لأن الوالدين قد ذُكِرَا قبله فصار الفعلُ على عددهما) [51].

4- وقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون: 1) .

قال أبو حيان: (قال عيسى بن عمر : سمعت طلحة بنَ مصرف يقرأ : (قد أفلحوا المؤمنون)، فقلت له: أتلحنُ ؟ قال : نعم ، كما لحن أصحابي يعني أن مرجوعه في القراءة إلى ما روي و ليس بلحن ، لأنه على لغة (أكلوني البراغيث)) [52].

وقال العكبري: و يقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَوا ﴾ بزيادة واو الجمع ، و هو لغة من قال أكلوني البراغيث) [53] ، فـ(الْمُؤْمِنُونَ) فاعل و (واو الجمع) في (أَفْلَحَوا) علامة الجمع .

و خلاصة القول : إن هذه الشواهد من أشعار قديمة ، و حديث نبوي شريف ، و آيات كريمة لا يمكن إنكارها ، فهي دليل على صحة لغة أكلوني البراغيث التي تحافظ بالفطرة على المطابقة بين الفعل و فاعله في العدد، فإلحاق علامة التثنية و الجمع بالفعل جاء حرصا على البيان و توكيدا للمعنى[54]، و أما ظاهرة عدم التطابق فيتحكم فيها العقل [55]وإن تأويلات النحاة الكثيرة ما هي إلا محاولة لإخراج هذه اللغة من القرآن الكريم ، بعد أن قبلوها في الشعر.

نتائج البحث:

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- أبرزت الدراسة دور المطابقة النحوية و أهميتها في تحديد المعنى.

2- كما أبرزت أهمية العدول عن المطابقة الذي كثر وروده في الموروث الشعري، و في الحديث النبوي الشريف، و في القرآن الكريم و قراءاته.

3- إن العدول عن المطابقة ليس خطأ في الاستعمال و لكنه خروج عن شرط النحويين، و لو كان خطأ لما ورد في القرآن الكريم.

4- جاء الحمل على المعنى من أكثر الضوابط التي اعتمدها النحاة في معالجة ظاهرة المطابقة وردها إلى أصولها.

الهوامش:

1. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، 1956م، مادة: (طبق).
2. تاج العروس من جواهر القاموس :محمد مرتضى الزبيدي، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، مادة :(طبق).
3. مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان،418/3.
4. الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، 580/4 .
5. الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط3، 1408هـ - 1988م، 127/2.
6. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة،عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 128/4.
7. الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار زاهد القدسي، (د.ت)، ص: 60.
8. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكرٍ بن فرح القرطبي، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط2 ، 1372هـ- 1952 م ، 354/13.
9. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط3، 1403هـ - 1983م، 317/2. و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل محمود الألوسي، قرأه و صححه: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، (د.ت)، 6/21.
10. معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1988م، 130/6-131.
11. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ، 105/8 .
12. الكشاف : الزمخشري، 42/2.
13. الكتاب : سيبويه ، 36/2 .

14. مشكل إعراب القرآن ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، لبنان ، ط2 ، 1985 م ، 456/2. وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل ،تحقيق :محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط16، 1394هـ- 1974م ، 197/1.

15. مشكل إعراب القرآن : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، 765/2.

16. شرح قطر الندى وبل الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر، ط11، 1383 هـ- 1963م، ص: 280.

17. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل، 176/2 .

18. المرجع السابق: 178/2.

19. شرح المفصل للزمخشري : موفق الدين بن يعيش، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1422 هـ - 2001م، 96/6.

20. المرجع السابق، 96/6.

21. المرجع السابق، 96/6، و 91/5-92.

22. شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق:أحمد السيد،المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت)، 4/ 479.

23. المقتضب : المبرد، 338/2.

24. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالكٍ ومعه شرح الشواهد للعيني: محمد بن علي الصبان، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوفيقية، مصر، 52/2.

25. الكتاب: سيبويه، 39/2 .

26. المقتضب : المبرد ، 146/2. و شرح المفصل : ابن يعيش 92/5.

27. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة (د.ت)، 452/8-470 .

28. المقتضب: المبرد، 346/3. و شرح المفصل: ابن يعيش، 103/5. و شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام، مراجعة و تصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار

الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط2 ، 1419 هـ- 1998م، ص: 175.

29. شرح الرضي على الكافية : رضي الدين الإستراباذي ، 342/3 .

30. شرح المفصل: ا بن يعيش، 103/5. و شرح الرضي على الكافية : رضي الدين الإستراباذي،342/3.

31. شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الإستراباذي، 3/ 345 .

32. الكتاب: سيبويه،20/1. وشرح المفصل: ابن يعيش، 87/3. و شرح كافية ابن الحاجب: رضي الدين الإستراباذي ، 255/1 . و شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ا بن عقيل ، 178/2 .

33. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل، 473/1 .

34. الكتاب : سيبويه ، 40/2 .

35. معاني القرآن : الفراء، 317/1 .

36. الكشاف : الزمخشري ، 320/2 .

37. شرح المفصل: ابن يعيش ، 3 /87 .

38. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل، 82/2.

39. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ط 3، 1407 هـ – 1987 م،203/1، باب فضل صلاة العصر. و صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، 1 /439 ، باب الصبح و العصر و المحافظة عليهما.

40. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل ، ،473/1 .

41. معاني القرآن: الفراء، 317/1.

42. معاني القرآن: سعيد بن مسعدة الأخفش البلخي المجاشعي ، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ، 632/2.

43. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري : تحقيق : نجيب الماجدي ، المطبعة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ،1423هـ-2002 م، ص: 376.

44. روح المعاني : الألوسي، 13/17.

45. الكتاب: سيبويه، 41/2.

46. معاني القرآن: الفراء ، 316/1.

47. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن :العكبري، ص : 200.

48. روح المعاني : الألوسي، 301/6.

49. معاني القرآن و إعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي ،دار الحديث، القاهرة، 1424 هـ-2004 م ، 159/2.

50. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان، ط1427،1 هـ - 2006م، ص: 586 .

51. معاني القرآن: الفراء، 120/2.

52. روح المعاني: الألوسي،213/18 .

53. إعراب القراءات الشواذ: أبو البقاء العكبري ، تحقيق : محمد السيد أحمد عزوز ، عالم الكتب ، بيروت، لبنان، ط1 ، 1417هـ- 1996م، 153/2.

54. بدائع الفوائد: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، ضبط نصه و أخرج آياته: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ- 1994م،102/1.

55. دراسات في اللغة و النحو العربي : د. حسن عون ، معهد البحوث والدراسات اللغوية ، مطبعة الكيلاني، 1389 هـ – 1969م ، ص: 54.